

الموسيقى والحرب خلال العهد الزياني

– رصد لمواطن حضور الآلات المصوّنة ومجالات استخدامها في الاستراتيجية والتكتيك الحربي –

زيتوني بلال، أ.د عابد يوسف

جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة ، b.zitouni@univ-emir.dz

جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة، youcef.abedd@gmail.com

تاريخ الإرسال: 09 / 07 / 2020؛ تاريخ القبول: 08 / 08 / 2022

Abstract: This paper aims to evoke the role of music in wars during the Zayanid era and their tactical roles in their war plans, given the criteria association for victory and defeat in battles and wars during the medieval period in many military studies with references usually based on the strength of the army, the types of weapons used in battlefields, in spite of the validity of these interpretations, openness to contemporary scientific methods will guarantee the reshaping of many features of military history during the Zayani era, especially the dimensions related to the use of sound machines and military music to support the military and tactical system of the Zayanid army.

Keywords: War ; Military music; The Ziyand state ;
The strategy ; Middle Maghreb. □

الملخص:

تهدف هذه الورقة إلى استحضار دور الموسيقى في الحروب خلال العهد الزياني وأدوارها التكتيكية في خططهم الحربية؛ نظرا لاقتران معايير التّجّاح والإخفاق في المعارك والحروب خلال العصر الوسيط – بما في ذلك العهد الزياني – في الكثير من الدراسات العسكرية بمراجعيات تستند عادة إلى قوة الجيش، وأنواع الأسلحة المستعملة في ساحات المعارك، وعلى الرغم من رجحان هذه التفسيرات إلا أنّ الانفتاح على المناهج العلمية المعاصرة كفيل بإعادة تشكيل العديد من الملامح للتاريخ العسكري خلال العهد الزياني، خاصة الأبعاد المتعلقة باستخدام الآلات المصوّنة والموسيقى العسكرية لدعم المنظومة الحربية والتكتيكية للجيش الزياني .

الكلمات المفتاحية: الحرب؛ الموسيقى العسكرية؛ الدولة الزيانية؛ التكتيك؛ المغرب الأوسط.

مقدمة:

يُزاوج ابن خلدون –المعاصر للدولة الزيانية– المنظر للحرب في المقدمة والمؤرّخ لها في العبر بين الأسباب الظاهرة المتعلقة بعدد الجيش وقوّته ونوعية الأسلحة المستخدمة، وبين الأسباب التكتيكية والتفسانية

للظفر بالحروب خلال العصر الوسيط بقوله : ﴿ ... والسبب في ذلك أنّ الظفر في الحروب إنّما يقع غالبا كما قدّمناه بأموور نفسانية وهميّة، وإن كان العدد والسّلاح وصدق القتال كفيلا به لكنّه قاصر مع تلك الأمور الوهمية ﴾ (ابن خلدون عبد الرحمان، 2005: 105).

تعتبر الموسيقى واتخاذ الآلات المصوّنة عاملا معياريا لتحقيق النصر في الحروب والمعارك؛ نظرا للدور الذي تلعبه في معادلة الحرب النفسية كإثارة الحماس لدى الجند وكسر نفسيّة العدو، فضلا عن كونها لغة للحرب؛ حيث أنّها تعتبر نمطا من أنماط التواصل بين الجند والقادة العسكريين في ظلّ محدوديّة الاتصال على أرض المعركة.

من خلال هذه المنطلقات تأتي هذه الورقة لتغطية أحد المواضيع المسكوت عنها في التاريخ العسكري لبلاد المغرب في العصر الوسيط، المتعلق بإشكاليّة التوأمة بين الموسيقى والحرب خلال العهد الزياني، في مسار بحثي تجديدي لفهم أعمق للمنظومة الحربيّة وإفرازاتها خلال هذا العصر، خاصة أنّ الدّولة الزيانيّة عرفت صراعا عسكريّا طويلا في معظم فتراتها.

تتمفصل إشكاليّة البحث في التساؤلين الآتين:

إلى أيّ مدى اعتمد الزيانيون على الموسيقى في منظومتهم الحربيّة؟ وما هي ضروب استخدامها في الحروب النفسيّة وتكتيك الحرب خلال مواجهاتهم العسكريّة؟

وللإجابة عليها سنحاول تصميم البحث وهيكلته لتغطية مجموعة من النقاط الأساسية؛ مستهلها محاولة تقديم قراءة تحليلية لتلازمة الحرب الموسيقى في الظاهرة الحربية خلال العصر الوسيط، بالإضافة إلى استحضار مواطن استخدام الموسيقى والآلات المصوّنة في المنظومة الحربية الزيانية.

1- ثنائية الحرب والموسيقى في الظاهرة العسكرية خلال العصر

الوسيط:

علم الموسيقى يضم الميم وكسر السين المهملة هو لفظ يوناني معناه تأليف الألحان، موضوعه النغم ويندرج علم الموسيقى تحت علم الحساب إذ يكون البحث في النغم عن النسب العددية العارضة للعدد على سبيل اللزوم وهي عارض خاص لموضوع علم الحساب (ابن أمير حاج، 1899: 37).

وعلى الرغم من صعوبة تقديم تعريف للموسيقى نظرا لخصوصيته التي تجعله أبعد الفنون لتقديم تعريف عام، إلا أنه يمكن الأخذ بالتعريف الذي ذهب إليه إخوان الصفا بناءً على المعايير التي ذكروها في رسالتهم في الموسيقى، إذ استطاعوا في مرحلة مبكرة أن يسايروا النمطية الحديثة المتعارف عليها في علم الموسيقى اليوم، كالتوافق والتنافر (إخوان الصفا، 1985: 195) أو ما يعرف في علم الموسيقى اليوم باسم (consonance and dissonance) (أوتو

كارويي ، 2015: 82)، وموازن الإيقاعات وانسجامها وتكرارها على مدار زمن ونسق معلومين (إخوان الصفا، 1985: 198) (metronome) وهو أشبه ما يكون في العروض للبحور الشعرية التي تنظم إيقاع الأبيات الشعرية، بالإضافة إلى أزمنة دقات الإيقاع (Rythme) كالإيقاع المزدوج، والإيقاع الثلاثي (إخوان الصفا، 1985: 198-199) أو ما يعرف اليوم بـ (duple time) و (triple time) (أوتو كارويي، 2015: 29-30).

تعكس هذه الشدّرات الإلمام الواسع لإخوان الصفا بعلم الأصوات والموسيقى، وعليه فإنّ علم الموسيقى -حسبهم- هو علم صناعة التّأليف والبيان بأنّ النغم والألحان الموزونة لها تأثيرات على نفوس جميع الحيوانات التي تشترك في السّمع، كتأثير الأدوية والأشربة عليها، والتّغيمات هي أصوات متّزنة، والصّوت هو قرع في الهواء يحدث جرّاء تصادم الأجسام بعضها ببعض، فيحدث تفاعلا بين الحاس والمحسوس، ويذكر اخوان الصفا بأن الحكماء قد صنّفوا آلات وأدوات كثيرة لنغمات الموسيقى ، مختلفة الأشكال كثيرة الأنواع؛ مثل الطبول والدفوف والتّايات والصنوج والمزامير (أنظر التعليق رقم 1) وما شاكلها من الآلات المصوّنة (إخوان الصفا، 1985: 183-188-202).

يظلّ موضوع الموسيقى والحرب موضوعا معيّنا في تاريخ المغرب خلال العصر الوسيط، على الرّغم من السّبق المعرفي للعرب بعلوم الحرب والموسيقى وانتساب علم التّعمية الذي يهتم بفك شفرات

الحرب (أنظر التعليق رقم 2) بين أوساط الجند بناء على نصوص وأصوات آلات معيّنة لهم ولادة ونشأة وتطوراً؛ فعلم التعمية عندهم هو تحويل نص واضح إلى آخر غير مفهوم باستعمال طريقة محددة يستطيع من يعرفها أن يفهم النص (مير يحيى ومحمد حسن، 1987: 2)، فضلاً عن ترسيخ الصوت لدلالاته التحفيزية لنفسية الجند أثناء الحرب في مرحلة مبكرة، فقد كان اليونانيون يستخدمونها في حروبهم، ويفزعون بها نفوس الأعداء (إخوان الصفا، 1985: 195)، وفي عصر النبوة اتخذ المسلمون العديد من الشعارات والهاثفات لتحقيق عدة أهداف كالتعارف فيما بينهم أثناء الإلتحام بالعدو أو في الظلام، أو لإثارة انفعالات الشجاعة والحماسة في نفوسهم، ومن أمثلة هذه الهاتفات : أحد، أحد في غزوة بدر و أمّ، أمّ في غزوة أحد و يا خيل الله اركبي بالإضافة إلى الله أكبر الذي كان شعار كل مسلم في الحرب (التجار فهمي، 2005: 354).

والملاحظ أنّ إخوان الصفا استطاعوا رصد المتلازمة بين الموسيقى والحرب في قولهم ... وكانوا أيضاً قد استخرجوا لنا آخر يقال له المشجع كانت تستعمله قادة الجيوش في الحروب والهيحاء يكسب النفس شجاعة وإقداماً (إخوان الصفا، 1985: 187)، ولا يختلف ابن خلدون معهم في تفسير هذه المتلازمة خلال الحروب التي شهدتها المغرب في عصره، إذ يرى أن السر في استخدام التفخ في الأبواق والقرون إنّما هو إرهاب للعدو في الحرب، ذلك أن الأصوات الهائلة لها

تأثير بالتفوس، ويذهب إلى ﴿ أن النفس عند سماع النغم والأصوات يدركها الفرح والطرب بلا شك فيصيب مزاج الروح نشوة يستهل بها الصّعب ويستमित في ذلك الوجه ... لأجل ذلك تتخذ العجم في مواطن حروبهم الآلات الموسيقية ﴾ (ابن خلدون عبد الرحمان، 2001: 319)، ويؤكد صاحب كتاب الحيل في الحروب أن الآلات الإيقاعية (أنظر التعليق رقم 3) في الحرب تكون ﴿ من قبل الأسماع: أشد تحريكا لأفئدة الرّجال، وأشدّ هزّ لطبائعهم، وتحريضا لهم، وأربط لجأشهم، وأكسر لقلوب أعدائهم، وأفت في أعضائهم، وأدخل للدّعر والوجل عليهم ﴾ (ابن منكلي محمد، 2000: 336)، و هو ما استقرّ عليه أيضا ابن رضوان -المنظر لاستراتيجيات الحرب خلال العصر الوسيط- بقوله : ﴿ عدّ جندك عند الحرب بالصلاة والكسوات ... و [أ]كثر من الآلات والأصوات المفزعة، فإنها قوّة للنفس، وإقامة للهمم، وفزع لمن تلقاه ﴾ (ابن رضوان أبو القاسم ، 1984: 393).

2- أنواع الآلات الموسيقية المستخدمة في المنظومة الحربية الزيانية:

2-1- الطبول:

تعتبر الطبول من بين أكثر الآلات استخداما في الحروب في المغرب خلال العصر الوسيط، وقد وجدت لعدّة أغراض حربية فمنها ما هو تكتيكي كاتخاذها من طرف الجيوش ﴿ دليلا لهم على ما يوعز إليهم ويشار إليهم به ﴾ (ابن منكلي محمد، 2000: 333-335) من طرف

قادتهم في ساحة المعركة، وفقا لشفرات عسكرية يتعارف عليها أفراد الجيش الواحد وتحدّدها عدد النقرات على الطبل، ومنها ما هو سيكولوجي؛ وقد دلّلت العديد من التوصيفات لأصوات الطبول في الحروب ومدى تأثيرها في تثبيت وكسر نفسية العدو، فقد استخدم أبو هو موسى الثاني الطبول بعد اقتياده لفلول جيش الحسن بن عمر الفودودي المنهزم وعددهم أربعمائة فارس مصفودي الأغلال وطبوله ﴿ تزار عليهم أسرا ﴾ (أبو هو موسى، 2012: 180)، بالإضافة إلى ذلك فإنّ المطلع على المصادر التي أرخت للتاريخ العسكري -الزياني والمريني والحفصي المشترك- يجد العديد من العبارات الدالة على استخدامه لتثبيت نفسية الجند وإدخالها في حالة من عدم التوازن النفسي مثل : ﴿اجتمعوا للغارات والطبول تضرب على رأسه ترهيبا للعدو ﴾ (ابن أبي زرع علي، 1972: 348)، و﴿ضربوا الطبول حتى ارتجّت الأرض ﴾ (ابن أبي زرع علي، 1972: 351)، و﴿زلزلت حوافر خيولهم رعود الطبول ﴾ (ابن أبي زرع علي، 1972: 150)، ومن بين الاستخدامات الأخرى للآلات الموسيقية في عهد الدولة الزيانية لغرض سيكولوجي يتمثل استحضار عنصر القوة للتأثير في نفوس الحاضرين، يمكن استحضار بعض الأبيات مما نظم سنة 773هـ / 1371م عند نزول السلطان الزياني بتيكورارين قبالة واحات توات، إذ جاء فيها :

وَزَنَائَةٌ مِنْ خَلْفِنَا وَأَمَامَنَا ... مِنْ كُلِّ لَيْثٍ فِي الْحُرُوبِ مُمَجَّدٌ

وَطُبُولُنَا زَأَرَتْ كَأَسَدٍ فِي الْوَعَى... وَبُنُودُنَا خَفَقَتْ بِنَصْرِ مُنَجِّدٍ (ابن
خلدون يحيى، 2011: 250).

يشرف على حمل الطبول في الحرب فرقة خاصة تسمى ﴿فرقة
الطّبالين﴾ وقد عرفوا في العهد الزياني باسم ﴿الطبلخانة﴾ (ابن
خلدون يحيى، 2007: 550) ولهم رئيس يتقدّمهم يُدعى ﴿المزوار﴾
يشرف عليهم وينظمهم خلال السير في الحرب (النميري بن الحاج،
1990: 227)، يلعب المزوار في معادلة الحرب النفسية دوراً مغذي
لنفسية الجند (أنظر التعليق رقم 4).

تصنع هذه الطبول ﴿من نحاس على شكل جفان كبار عريضة
من أعلى، ضيقة من أسفل مع جلد ممدود على أعلاها، يحمل كل طبل
حصان رحل، ويعادل بثقل موازن لأنه ثقيل جدّاً، وخيول الطّبالين
أجود الخيول وأكثرها سرعة﴾ (الوزّان حسن الفاسي، 1983: 288).

2-2- الأبواق والآلات النفخية :

الجدير بالذكر أنّ الآلات النفخية لم تستخدم في حروب الزيانيين
عموماً، وانحصرت استخداماتها في المناسبات والحفلات السلطانية
والاستعراضات العسكرية، ففي شهر رجب 776هـ/ ديسمبر 1374م
استعملت آلة الكريج والطبلخانات والآلات النفخية للاحتفال بحزق
المولى أبو زيّان محمد لسورة البقرة ﴿ ونودي في أرباب الغناء والعزف

والطبلخانات والكريج* (ابن خلدون يحى، 2011: 288)، والملاحظ أنّ هذه الفرقة سميت نسبة إلى هذه الآلة الموسيقية الإيقاعية (ابن خلدون يحى، 2007: 550)

وعلى العكس من ذلك فقد عرفت الآلات التّفخية المعروفة بـ*الغيطات* انتشارا واسعا في أوساط الغزّ والفئات التّصرائية المشاركة في الحرب، وكذلك أمم الإفرنجية بالأندلس* فأكثر شأنهم اتّخاذ الألوية القليلة ذاهبة في الجوّ صعدا ومعها قرع الأوتار من الطنابير ونفخ الغيطات* (ابن خلدون عبد الرحمان، 2001: 321)، كما أنّ الأبواق المصنوعة من التّحاسس الأجوّف ذات الصّوت الثخين المدوّي* (ابن خلدون عبد الرحمان، 2001: 535) سجّلت حضورها في العديد من الوقائع الحربية بين دول المغرب والأندلس خلال فترة الحكم التي عاصرت الدولة الزيانية* (ابن أبي زرع علي، 1972: 316-324).

أما عن الاحتفالات العسكرية بالنّسبة للمرينيين فقد استعاضوا عن الآلات التّفخية بالطّبول خلال الاستعراضات العسكرية، ففي عهد أبي عنان المريني* جعلت الطّبول تقرر على طرائق تتهاذى لها الأسماع، وتهواها حتّى الأماكن والبقاع، ألسنة عزّ نطقت فأنست زئير الأسود الضراغم... وعلى إثرهم امتلأت الأنجاد والتهائم بكتائب تتلو الكتائب... (النميري بن الحاج، 1990: 227)، وقد بلغ عددها أيام أبي

الحسن حسب شهادة ابن خلدون ﴿مائة من الطبول﴾ (ابن خلدون عبد
الرحمان، 2001: 321).

3- الاستخدامات التكتيكية للطبول في معارك وحروب بني زيّان:

استخدمت الجيوش الزيانية في حروبهم خلال العهد الزياني
الطبول في مواقف مختلفة من زمن المعركة، فقد استخدمت كمؤشّر
للسّروع في الالتحام أثناء المعركة؛ ومثّل ذلك المعركة التي جمعت بين
السلطان أبو هو موسى الثاني وأبو بكر بن أبي عنان (759-
760هـ/1357-1358م) رفقة وزيره الحسن بن عمر الفودودي، إذ
﴿خرج [أبو هو] للقائهم مبادرا وعلى قتالهم ماثبرا إلى أن تقرّب منهم
بحيث سمعوا طبولهم، وشارفت خيولهم خيوله﴾ (مجهول، 2012: 82)،
(أبو هو موسى، 2012: 179)، وعلى غرار ذلك فإنّها استخدمت
لانسحاب التكتيكي أثناء المعركة؛ حيث قام السلطان أبو هو الثاني بعد
استيلاء السلطان المريني عبد العزيز بالخروج من تلمسان مشرّقا سنة
772هـ/1370م فتبّع السلطان المريني فلول أبي هو ونزل بجيوشه
مغيرا على محلّته ﴿وتكالبوا في طلبه، فقرعت طبوله وانعطف نحوهم،
فولوا الأدبار﴾ (ابن خلدون يحيى، 2011: 231).

ومن بين الاستخدامات التكتيكية الأخرى لآلة الطبل في
الحروب الزيانية، ضبط المصاف عند قتال الجيوش الزيانية بنظام
الصّف، ويكون ذلك بقرع الطبول كإشارة لتشكيل الصّف والتزام الثبات

تحسبا للاصطدام المباشر بين الجيشين، ففي سنة 775هـ/1374م وخلال مواجهات أبي تاشفين الثاني مع أبي زيان * قرعت طبوله، وترتبت مصاف جيوشه، ثم أخذ الناس بالثبات لصدمة العدو الأولى، وأن لا يعدو أحد مركزه، ودفع المقاتلة بين يديه، فلم يكن إلّا كطرفه العين أو أقرب، حتى ولّوا الأدبار منهزمين * (ابن خلدون يحیی، 2011: 268).

أمّا عن استخدام الطبول في حالة ضرب الحُصر العسكريّة الزيانيّة، فقد استخدمها أبو هو موسى الثاني في حصاره للجزائر وقائدها المريني شعیب بن میمون بن وادرار أواخر سنة 760هـ/1359م، للإيعاز بترجل الفرسان من خيولهم وتقدّمهم مترجلين لتشدید الحصار تمهيدا لإجبار العدو على الاستسلام، وهذا ما تنحسّسه عند صاحب زهر البستان في قوله : * فضربت حينئذ الطبول، وترجلت الفرسان وثركت الخيول، وشدوا على أهل البلد شدة عظيمة، وأضغطوهم ضغطة ذميمة. فانهزم أهل البلد من أهل الحلة أشدّ المهالك * . (مجهول، 2012: 82).

كما استخدمت أيضا كعامل مفاجأة عند مباغته العدو بالكمين (القلشندي أبو العباس، 1915: 207)، وقد استعمل الطبل أيضا كعلامة لأخذ البيعة؛ ففي سنة 665هـ/1268م بعث يغمراسن بن زيّان ببيعته إلى أبي دبوس ليعقد معه حلفا ضدّ بني مرين قائلا : * إياك أن تطمع بني مرين فيما لديك فأنا أكفيك شرهم ، أنا وأنت يد واحدة في

حربهم فسّر أبو دبوس بذلك ... فجمع أشياخ الموحدّين والعرب فقراً عليهم بيعة يغمراسن وكتابه فوافقه وضربت الطبول على ذلك ﴿ (ابن أبي زرع علي، 1973: 112)، أو كعلامة استهلال لرفع معنويات الجند إشعاراً بالسفر (أنظر التعليق رقم 5) لانطلاق الجيش في مسيرته لخوض المعارك التي تدار رحاها في مناطق بعيدة (مجهول، 2012: 101)، كما أنّها كانت تفرّج ليهندي بصوتها من ظلّ الطريق من الجند في المعارك التي التي يخوضها الجند خارج أرضهم (ابن أبي زرع علي، 1972: 215-353).

والملاحظ أنّ سلاطين بني زيّان أولوا أهمية بالغة بأخذ الطّبول في حالة الفوز بالمعارك ضمن مغائهم لارتباط ذلك بكسر نفسيّة العدو ﴿ إذ يعتبر فقدان طبل من هذه الطّبول عارا كبيرا ﴿ (الوزّان حسن الفاسي، 1983: 288)، وعليه فإن المصادر حفظت لنا العديد من المواجهات العسكرية الزيّانية التي أخذت فيها طبول العدو بعد الانتصار عليه لهذا الغرض، أهمها معركة أبي حمّو موسى الثاني ضدّ الحامية المرينية بوادي الصفيصيف في 25 صفر 760هـ/ 26 جانفي 1359م خلال حركته لإحياء الدولة الزيّانية في هذه السّنة، حيث ولّت الحامية المرينية منهزمة ﴿ وأخذ ما كان بعسكرهم من طبل وأعلام ﴿ (ابن خلدون يحيى، 2011: 24)، ومعركته أيضا ضد الحلف الذي شكّله عبد الله بن سقير العامري وأبو زيّان غريم السّلطان أبي حمّو في مستهلّ سنة

777هـ/1375م إذ ﴿أوسعهم قتلا وأسرا، وسلب طبل أبي زيّان وأعلامه، وأفلتوا بغيظهم﴾ (ابن خلدون يحيى، 2001: 305).

لقد حفظت لنا المصادر العديد من المواجهات العسكرية التي استعملت فيها الطبول في حروب دولة بني زيّان؛ وأشهرها :

- موقعة وادي إيسلي سنة 670هـ/1271م بين يغمراسن والسلطان المريني يعقوب حيث جعل هذا الأخير ﴿ولده الأمير عبد الله الواحد على يمينته، وولده الأمير يوسف على يسارته، وأعطى لكل واحد منهما طبولا﴾ (ابن أبي زرع، 1973: 130).

- وقد تكرّر الأمر ذاته بين هذين الجيشين على عهد يغمراسن سنة 679هـ/1280م إذ ﴿بات الناس طول ليلتهم إلى الصباح ينتهبون سائر البلاد والنواحي، وباتت طبول أمير المسلمين في محلته تُضرب في الخيام﴾ (ابن أبي زرع علي، 1972: 337).

- ومنها أيضا تكليف أبي حمو الأول يعقوب بن يوسف بن حيّون الهواري سنة 710هـ/1310م لإخضاع القبائل بني توجين ومغراوة المتمردة بعد انقضاء الحصار الطويل على تلمسان فأملّه ﴿بالطبل والبند، واستعمل عليه مساحا بشلف بلاد مغراوة بالطبل والبند أيضا، وثنى العنان إلى دار ملكه﴾ (ابن خلدون يحيى، 2011: 235).

- كما تعددت استعمالاتها بين سنوات 761-
763هـ/1359-1361م على عهد السلطان أبو حمو موسى الثاني،
ففي ظل الهجومات المرينية المكثفة على أراضي المغرب الأوسط خلال
فترة حكمه، اضطرّ السلطان الزياني أبو حمو إلى الخروج من العاصمة
الزيانية تلمسان والإصحار رفقة محلاته أربع مرّات، لفترات طويلة نسبياً،
ولتلافي هذه الهزائم - المؤقتة - قام بانتهاج استراتيجية الكرّ والفرّ، وقعدَ
لها باستخدام أصوات الطبول لضمان فاعلية الهجومات السريعة
والانسحاب التكتيكي ضد الجيوش المرينية، وقد رصد لنا صاحب كتاب
زهر البستان العديد من المواضع التي قرعت فيها الطبول أثناء المواجهات
العسكرية على عهد أبو حمو موسى بين سنوات (761-
763هـ/1360-1363م)، وهو ما يوضحه الجدول التالي:

مجلة: 13 عدد خاص سبتمبر 2022
العنوان: الموسيقى والحرب خلال العهد الزياني: رصد
لمواطن حضور الآلات المصوّنة ومجالات استخدامها في
الاستراتيجية والتكتيك الحربي

السنة	الاستشهاد	الإحالة
761هـ / 1360م	" وأمر المولى أبو حمو بركوب جيشه المنصور ثم أخرج الطبول والعلامات، وأمر أهل تلمسان بالزينة والخروج للملاقاة فخرج الناس كالخروج للأعياد"	ص 66
761هـ / 1360م	"... فضربت حينئذ الطبول، وترجلت الفرسان وتركوا الخيول، وشدوا على أهل البلد شدة عظيمة"	ص 82
13 ذي القعدة 762هـ / 14 سبتمبر 1361م	" وكان دخول المولى إليها غداً يوم النزول ناسرا الرايات وضرب الطبول... ثم ترحل بنو مرين إلى تلمسان"	ص 142
762هـ / 1361م	"... ثم كساه [أي لعلّ بن أخ السلطان أبي الحسن المريني] كسوة سلطانية، وأعطاه عطية زبانية، ثم أمر له ما يقوم به من الأخبية وما يقوم به من الطبول والألوية".	ص 146
1 ربيع الثاني 764هـ / 18 جانفي 1363م	"... ثم أمر [أبو حمو موسى الثاني] أن يخرج بالطبول والعلامات، وأن تتركب لها الجيوش والساقات".	ص 225

الجدول رقم 01: الاستخدامات العسكرية للطبول خلال عهد السلطان الزياني أبو حمو موسى الثاني من خلال كتاب زهر البستان.

الخلاصة:

يتبين من خلال ما سبق أن المادة المصدريّة عبرت بجلاء عن متلازمة الحرب والموسيقى في العهد الزياني، وقدّمت العديد من المعطيات التي من شأنها أن تسلّط الضوء على ملامح مخفية من التاريخ العسكري للدولة الزيانية عبر مساراتها التاريخيّة، والتي يمكن من خلالها إعادة بناء واقع الحرب والوقوف هيكل المنظومة الحربيّة الزيانية خلال هذا العصر.

كما حفظت لنا العديد من الحروب التي اتخذت فيها الزيانيون الآلات المصوّنة إيذانا بالحرب، واستخداماتها في الحروب التّفسيّة لتحطيم وكسر نفسيّة العدو وإرهابه، علاوة عن الاستخدامات التكتيكيّة لتنظيم مصاف الجنّد، وتنفيذ الكُمن، والتواصل في ميدان الحرب وفقا لنظام التعميّة، ممّا يجعل من الموسيقى لغة للحرب وركنا أساسيا في المنظومة الحربيّة لدى الزيانيين، وعلى غرار ذلك فإنّ الآلات التّفخيّة والإيقاعيّة سجّلت حضورها أيضا في الاستعراضات العسكريّة والحفلات السلطانيّة كأداة للتعبير عن الفرح خلال هذا العصر.

والجدير بالذكر أنّ الموسيقى و استخدام الآلات المصوّنة لم يقتصر على الجانب العسكري فقط، فضلا عن أنه لم يكن وليد عصر الزيانيين، فقد عرف المغرب الإسلامي على امتداد فتراته العديد من الاستخدامات لها، مما يجعل موضوع الموسيقى خلال هذه الفترة من المواضيع التجديدية

في مسارات البحث التاريخي، وهذا مشروع بحث نرجوا أن يحظى
باهتمام من قبل الباحثين المتخصصين.

التعليقات:

1. يسمى أيضا بـ «الزلامي» وهو شكل القصبة منحوتة
الجانبين من الخشب جوفاء من غير تدوير، ينفخ فيها بقصبة صغيرة
فينفذ النفخ بواسطتها إليها وتصوت بنغمة حادة يجري فيها من تقطيع
الأصوات من تلك الأبخاش بالأصابع (ابن خلدون عبد الرحمان،
2005: 535).

2. يقوم نظام التعمية على فكّ الشفرات الكتابية والصوتية خلال
حالة الحرب، وقد استطاع ابن منكلي صاحب «كتاب الحيل في
الحروب» إلى تفكيك هذه الشفرات الصوتية، القرعة الواحدة والنفخة
الواحدة تستعمل للتعليق على الدواب، والقرعتين بعد القرعتين
والنفختين بعد النفختين تستخدم للإسراج، الثلاثة بعد الثلاثة تستخدم
للإلجام والركوب، أما قرع الطبل في الموضع الذي يكون فيه قائد الجيش
فيستخدم ليهتز من كان في ذلك الركن من الخيول لتحريك أفئدة
الجيش، وقرع الطبل في جميع أركان الجيش ما عدا ركن قائد الجيش
للتعبير عن استعداد الجيش لما يخرج من أمر القائد إليهم للإلتحام في
المعركة، وتأخر النفخ في المزامير إشارة إلى عدم تقدم الجيش للعدو،

وعلى العكس من ذلك فإنّ تقدم النفخ في المزامير يتعبّر بمثابة إيعاز إلى تقدم الجيش للعدو (ابن منكلي محمد، 2000: 334-337-338).

3. إلى جانب الآلات الإيقاعية، استخدمت الآلات النفخية كالأبواق في الحرب ويكونون الفنفخ فيها مؤذنا للشروع في تنفيذ الهجوم (الوزان حسن الفاسي، 1983: 288).

4. لم يكن المزوار وحده من يقوم بهذه العملية فاهتمام السلاطين والملوك باستقرار نفسية الجند وحفظ توازنهم السيكلوجي جعلهم يقومون بتنصيب مزوار يؤدي هذه المهمة في الحرب وقد حظي بمكانة رفيعة بين وجهائه وحاشيته، أما في حالات الاستقرار فكان الملك أو السلطان يقوم بتنصيب القصّاصين والخطباء ليذكروا الجند بمجربهم ووقائعهم الماضية، وغزواتهم السالفة ومواقع الشجعان ومصارع الفرسان، وما وعد الله للشهداء والمجاهدين من الثواب، ثمّ يؤلف الهمم لديهم ويقوّي العزائم، ويشدّ نفوس أهل الحرب (العبّاسي الحسن بن عبد الله، 1989: 330).

5. يسمى هذا النوع من الطبول بـ «التريال» ويتميّز بكبر حجمه، يكون أول الطبول المصوّنة ثم تضرب بعده باقي الطبول للإشعار بالانطلاق في السفر (القلقشندي أبو العبّاس أحمد، 1915: 208).

المراجع:

- ابن أبي زرع علي الفاسي، (1972). الأنيس المطرب بروض
القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، الرباط: صور
للطباعة والوراقة.
- ابن أبي زرع علي الفاسي، (1973). الذخيرة السنية في تاريخ
الدولة المرينية، الرباط: دار المنصور للطباعة والوراقة.
- ابن أمير حاج محمد شمس الدين، (1316هـ). التقرير والتحجير،
مصر: المطبعة الأميرية.
- ابن خلدون أبو زكريا يحيى، (2011). بغية الرواد في ذكر
الملوك من بني عبد الواد، الجزائر: عالم المعرفة للنشر والتوزيع.
- ابن خلدون أبو زكريا يحيى، (2007). بغية الرواد في ذكر
الملوك من بني عبد الواد، الجزائر: دار الأمل للدراسات والنشر والتوزيع.
- ابن خلدون عبد الرحمان، (2005). المقدمة، الدار البيضاء:
بيت الفنون والعلوم والآداب.
- ابن رضوان أبو القاسم، (1984). الشهب اللامعة في السياسة
النافعة، المغرب: دار الثقافة.
- ابن منكلي الناصري محمد، (2000). الحيل في الحروب وفتح
المدائن وحفظ والدروب، القاهرة: مطبعة الكتب المصرية.
- أبو هو موسى الزياني، (2012). واسطة السلوك في سياسة
الملوك، الجزائر: دار الشيماء ودار النعمان للنشر.

- إخوان الصفا، (1985). رسائل إخوان الصفا وخلّان الوفا، طهران: مكتب الإعلام الإسلامي.
- أوتو كارويي، (2015). مدخل إلى الموسيقى، الإمارات العربية المتحدة: دار نون للنشر.
- العباسي الحسن بن عبد الله، (1989). آثار الأول في ترتيب الدول، بيروت: دار الجليل.
- القلقشندي أبو العباس أحمد، (1915). صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، القاهرة: المطبعة الأميرية.
- مجهول، (2012). زهر البستان في دولة بني زيّان، ط2. الجزائر: شركة الأصالة للنشر والتوزيع.
- مير علم يحيى و الطيّان محمد حسن، (1987). علم التعمية واستخراج المعنى عند العرب، دمشق: مطبوعات مجمع اللغة العربية.
- النجار فهمي، (2005). الحرب النفسية أضواء إسلامية، السعودية: دار الفضيلة.
- النميري ابن الحاج، (1990). فيض العباب وإفاضة قداح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزّاب، لبنان: دار الغرب الإسلامي.
- الوزان الحسن بن محمد، (1983). وصف إفريقيا، ط2. لبنان: دار الغرب الإسلامي.